محاضرات مادّة البلاغة القرآنيّة/ المرحلة الثانية:

- نشأة البلاغة وتطوّرها:

كان للعرب بيانهم منذ عصر ما قبل الاسلام، فقد جاءنا من ذلك العصر شعر كثير اكتملت فيه عناصر الجودة، ممّا يدلّ على أنّه مرّ بكثير من التجارب حتى اكتملت له عناصر الجودة، ومع أنّ ما وصلنا من شعر تلك الفترة كان قليلاً ولكنه كان يكفي لبيان الثراء العقليّ والفنّي الذي كانت عليه هذه الأمّة.

وبعد الاسلام وجد كلّ فريق من المعسكرين المتصارعين: المسلمون من جهة والمشركون من جهة أخرى، وجدوا في اختيار العبارة البليغة التي تهيء له جانباً من الغلبة في صراع القول، وقد أدّى ذلك كلّه إلى تراكم مادّة البيان وتنوّعها، إلا أنّ البلاغة بوصفها علماً له أصوله وقواعده لم تنشأ في تلك الفترة التي اعتمدت الفطرة في النظر إلى الأشياء، والحكم عليها.

لقد كان التفكير في الفترة الاولى من التأليف منصرفاً إلى اللغة، والى ما يوفّر جانب الصحّة فيها، حتى لا يقع اللحن في القرآن الكريم، ومن الممكن أن نقول إنّ الاهتمام بالبلاغة وقضاياها جاء في فترة لاحقة.

ومن المعلوم أنّ من دخل الى الاسلام لم يكن دخولهم فيه لأنّهم خبروه ووقفوا على ما يهيّئه للناس من الرشد والفلاح، وإذا صحّ مثل هذا القول بالنسبة للعرب الذين سمعوا القرآن الكريم وأحسّوا بما فيه من جديد في العبارة ممّا لم يألفوه، وإن كان يستعمل لغتهم والمتعارف من ألفاظهم، فإنّ مثل ذلك لا يمكن زعمه فيما يتعلّق بغير العرب، فبعضهم قد آمن بسبب ما سمعه عن عدل المسلمين وانصافهم، وبعضهم تهرّب من دفع الجزية، وبعضهم أسلم لمسايرة للعرب الغالبين، وهؤلاء بطبيعة الحال لم يكن دخولهم الاسلام صادر عن رضا وقناعة، فكان وجودهم مؤثّراً في كيان الاسلام إذ حاولوا احداث شرخ بين المسلمين من خلال التحزّب والتفرّق فبثّوا أفكاراً مسمومة أثارت الشكوك حول الاسلام وحول كتابه المقدّس، ومن بين ذلك ما

أثاروه من شكوك قضيّة الاعجاز القرآنيّ، فقضيّة الاعجاز لم تكن مدار جدال في عصر التنزيل لانهم تلقوا القرآن بالفطرة ولم يشكّوا في أنّ القرآن كان من جنس كلامهم، لكنّه نمط مختلف، وهم غير قادرين على محاكاته.

واذا كان هذا موقف العرب الذين تلقوا القرآن الكريم في مراحله الاولى فهل يتغاضى أولئك المشككون عن ورقة تفيدهم في بث جذور الفرقة والخلاف، وبخاصة في فترة لم تعد السليقة اللغوية تلعب دورها في الاحساس بجمال المفردة القرآنيّة، ومن هنا طرحت قضيّة الإعجاز القرآنيّ، أو بعبارة أخرى بدأ التساؤل الذي يقول: بم كان القرآن الكريم معجزاً ؟

- بداية ظهور علم البلاغة:

لقد كان هذا التساؤل أول توجيه عملي للنظر البلاغيّ، ومن ثم وضع اللبنات الأولى في نشأة علم البلاغة، إذ حفّز طائفة من العلماء للبحث في وجه الاعجاز في القرآن الكريم، وأكثر أهل النظر ذهبوا الى انّ اعجازه كان من جهة البلاغة، وما دام الامر كذلك فعليهم أن يبيّنوا وجوه البلاغة، وما يتميّز به القرآن الكريم على غيره من الكلام لأخذه بها.

- الطوائف التي أسهمت في البحث البلاغيّ:

أ- المعتزلة:

ليس من قبيل المصادفة أن تكون أول صحيفة في البلاغة لأحد رجال المعتزلة (بشر بن المعتمر(ت٢١٠هـ) وذلك في صحيفته التي اشتهرت باسمه، وبشر انتهت اليه رئاسة المعتزلة في بغداد، وفي صحيفته تحدّث بشر عن المعاني وما يناسبها من الالفاظ، كما يحدثنا عن اللفظ وما يجب ان يكون عليه من الرشاقة والعذوبة والخفّة، وتحدث ايضا عن ضرورة موافقة الكلام لمن يوجّه اليهم من جهة، ومناسبته لموضوعه من جهة أخرى، أو ما أطلق عليه البلاغيون مراعاة الكلام لمقتضى الحال.

ومن الاسماء اللامعة التي اسهمت في هذا الحقل من رجال المعتزلة الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الذي عني بالبيان وتعرّض في كتبه لبعض مسائل البلاغة في تراثه العظيم، وكانت نظرته في الشعر وما يجب أن يكون عليه من الامور التي وجهت الدراسات البلاغية والنقديّة، وبخاصة في قضية اللفظ والمعنى التي شغلت النقاد والبلاغيين القدامى، وجعلتهم يصرفون كثيرا من الجهد حولها، ومنهم: علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٦هـ) صاحب رسالة (النكت في إعجاز القرآن).

ب- اللغويّون:

وكان لهم دورهم في نشأة هذا العلم، وتطوّر مباحثه، إذ وجهوا اهتمامهم – بالدرجة الاولى- الى جميع مسائل اللغة، لكنّهم تناولوا النصوص التي تهيأت لهم، وحاولوا أن يصلوا إلى نواحي الجمال والقبح فيها، وقد تناولوا بعض مسائل البلاغة والنقد الأدبيّ، وإن لم يكن تناولهم لها على نحو ما نجد عند البلاغيّين المتأخرين.

ومن جهود اللغويين في ذلك كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، وكانت كلمة المجاز عنده دالة على التفسير أو التأويل وليس بمعنى المصطلح البلاغي، ولكن الكتاب مع ذلك تضمن في أثناء التفسير بعض المسائل التي تعدّ من البلاغة، من أمثل تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾(يوسف/ ٨٢)، إذ تحدّث عن المجاز بمعناه البلاغيّ المعروف وأشار الى ما وقع فيه من الحذف، فقال: ((فهذا محذوف فيه ضمير مجازه (وسل أهل القرية) و(من في العير)))، وذكر في كتابه أيضا مصطلح (الالتفات) ومفهومه، من ذلك قوله: ((ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناه للشاهد، قال: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾: ((مجازه: ألم هذا القرآن، ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحوّلت مخاطبته هذه الى مخاطبة الغائب: قال الله: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾)).

كما أننا نجد الكثير من القضايا البلاغية في كتاب الكامل لأبي العباس المبرّد المتوفى (ت٢٨٥هـ)، ولعلّ من أبرزها ملاحظته حول كثرة وقوع التشبيه في كلام العرب، وحديثه عمّا يكون في الكلام من الطرافة والحسن، وتقسيمات العرب للتشبيه، إذ قال: ((والعرب تشبه على أربعة أضرب، فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو من أخشن الكلام)).

وممن اسهم في بناء هذا العلم وتأصيل مسائله وتحرير قضاياه (ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، وقد ذكرناه في اللغويين لما غلب عليه، وما اشتهر به وان كانت له مؤلفاته القيمة في الشعر والادب والتي يمكن ان تسلكه في عداد الادباء، كما أنّه له آراء في الشعر تضمن له منزلة بين النقّاد ودارسيّ الأدب.

وابن قتيبة يسهم في نشأة البلاغة من خلال ملاحظاته البلاغية فهو يعقد بابا للاستعارة يبين من خلاله تعريفها، ويقدّم الامثلة عليها من الشعر والقرآن الكريم، فهو يقول: ((العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة اذا كان المسمّى بها بسبب من الاخرى، أو مجاوراً لها أو مشاكلاً فيقولون للنبات: نوء؛ لأنه يكون من النوء عندهم))، وإن كان ما جاء به ابن قتيبة عن الاستعارة يدخل في غيره من الفنون فالنوء من المجاز المرسل وليس من الاستعارة ولكنّه مع ذلك يعدّ اسهاماً من ابن قتيبة في البلاغة، ومحاولة لتحرير مسائلها واقامة صرحها.

ولن نعدم اشارة بلاغية او تناولا لمسألة من مسائلها، او إثارة لقضيّة من قضاياها عند هذا العالم اللغوي او ذاك، او بعبارة اخرى عند هذا العالم الذي يغلب على منهجه البحث في اللغة، وذلك يدل على ان هؤلاء اللغويين قد اسهموا في نشأة هذا العلم.

جـ- الأدباء:

من أبرز ما يصادفنا من جهود الادباء في بناء صرح البلاغة كتاب (البديع) لعبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) الذي ألّفه ليثبت أنّ فنون البديع ليست من تأليف المحدثين من الشعراء في عصره أمثال:

بشار ومسلم بن الوليد وابي نواس وانما هو فن ورد في القرآن وفي احاديث الرسول الكريم وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم من الشعراء المتقدّمين، ويعدّ كتاب البديع اول كتاب مؤلف يتحدث عن الوان من البيان والبديع، ويسلك فيه مؤلفه منهجا يلتزم به.

وفي القرن الرابع الهجري نجد طائفة من الادباء الذين اسهموا في بناء صرح البلاغة: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه، وفيه يتحدث عن بعض مسائل البلاغة ويقدم مفهوما لها على نحو حديثه عن الاستعارة حين عرفها، وبيانه الفرق بينها وبين التشبيه، وقدّم امثلة لما يحسن وما لا يحسن، وتحدث عن الجناس والطباق، وغير ذلك من الامور التي تعدّ اسهاما منه في نمو هذا العلم، والوصول به الى مرحلة تقرب من النضج والوضوح، وعلى الرغم من وضوح النزعة العلمية نجد القاضي الجرجاني يكثر من الامثلة على طريقة الادباء في هذا الصدد.

ولا يفوتنا ونحن نتناول جهود الادباء ان نشير الى جهود ابي الحسن الآمدي صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين حيث تعرض لبعض مسائل هذا العلم، ونلاحظ في هذا الكتاب الاتصال الوثيق بين البلاغة والنقد وتداخل قضاياهما كما نلاحظ وضوح الذهنية العلمية في هذه الفترة، والميل الى الالتزام بالمنهج في تناول هذه القضايا او تلك.

د- المفسّرون:

اذ عنوا بتفسير القرآن الكريم، وكان على رأس هؤلاء جميعاً الزمخشري صاحب كتاب الكشّاف (ت٥٣٨هـ)، إذ تناول في تفسيره قضايا بلاغيّة، فبيّن معاني الذكر الحكيم من خلال طريق لم يسلكه أحد قبله من المفسّرين، كما أنّه حفّز العلماء إلى تناول بعض الأمور البلاغيّة بالشرح حتى يمهّد الطريق لمن يريد الافادة من كتاب الكشّاف.

ويذكر ابن خلدون في مقدمته ان الزمخشري اقام تفسيره على أصول علم المعاني والبيان فلم يسبقه الى ذلك أحد من المفسرين السابقين له، والعلوي صاحب كتاب (الطراز) يصرّح في مقدّمة كتابه بأنّ تفسير الكشّاف كان متميّزاً ن سائر التفاسير وانه قائم على علمي المعاني والبيان سواء، كما بيّن مكانته في علم البلاغة ، والاثر الذي أحدثه في هذا العلم ، وما ترتب على كتاب (الكشّاف) الذي قام على أسس بلاغيّة في علم البلاغة، فاعتمد فيه المؤلف هذا الجانب فكشف عن جوانب من الاعجاز لم يستطع غيره من المفسّرين أن يكشف عن جوانب من الإعجاز ما لم يستطع غيره من المفسّرين أن يكشف عنها.

- علماء لهم أثرهم في علم البلاغة:

من أولئك العلماء الذين كان لهم أثرهم في علم البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ) الذي شكّل انعطافة كبيرة في تطوّر هذا العلم، فقد أحاط هذا الناقد الكبير بكلّ ما سبقه من إنجاز في مسيرته التي امتدت عدّة قرون، وكان يتمتع بحسّ مرهف وذوق مدرّب، وبصر نافذ، وعقل قادر على التنظير، فوصل بهذا العلم إلى مرحلة كبيرة من النضج من خلال كتابيه العظيمين: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز.

وقد صرّح غير واحد من علماء البلاغة، بالأثر الذي أحدثه عبد القاهر الجرجانيّ في إعلاء صرحها، بل ذهبوا إلى أنّه المؤسّس لهذا العلم، والواضع لأصوله.

ولعلّ من أبرز الامور التي يشار اليها في بلاغة عبد القاهر الجرجاني أنه يخصّص أسرار البلاغة لألوان التصوير البياني، ومدى كشف هذه الصورة البيانية او تلك عن المعنى، ووجوه الحسن في هذه الصور، وحسبنا أن نشير في هذا الصدد لما قام به في التفريق بين التشبيه والتمثيل من جهة، وبينه وبين الاستعارة من جهة أخرى.

وقد لا يتسع المقام للكشف عن الاثر الكبير الذي احدثه عبد القاهر، في مسيرة هذا العلم، وحسبنا أن نشير الى انه قد ربط المسائل الفنيّة بالمعاني التي تعبّر عنها، وجعل للمغزى الذي يعبّر عنه المتكلّم دخلا في بلاغته، كما أن جمال الشيء لا يظهر الا في وسطه.

وعلى الجملة نقول: لقد أفاد البلاغيون اللذين جاؤوا بعده من هذا الصرح الشامخ الذي أقامه، وحسبه غنى في نتاجه نظريته في النظم التي خصص لها كتاب (دلائل الاعجاز) حيث شرحها واكثر من التطبيق عليها، وكان بذلك يضع أساس علم المعاني ، كما وضع بكتاب أسرار البلاغة أساس علم البيان.

ومن العلماء الذين اشتغلوا بالبحث البلاغي السكاكي (ت٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم) الذي شكّل نقطة تحول في البحث البلاغي الذي أصبح يدور في فلك مفتاح العلوم، وأصبح جهد العلماء – في الغالب– وقفاً على تقديم شرح، أو عمل تلخيص، أو كتابة تقرير أو حاشية على هذا الشرح أو ذاك.

كتاب السكاكي ليس كتابا في البلاغة وحدها بل يشتمل على عدة علوم: علم اللغة، علم الصرف والاشتقاق، علم النحو، علم المعاني، علم البيان، علم الحدّ، علم الاستدلال، علم العروض والقافية.

ولكنه في الجزء الثالث الذي خصصه للبلاغة وضع مصطلحات البلاغة في صورتها العلمية التي استقرت عليها.

وممّن اضاف الى البلاغة من العلماء ضياء الدين ابن الاثير (ت٦٣٧هـ) في كتابه المثل السائر، وشرف الدين الطيبي (ت٧٤٣هـ) في كتابه التبيان في المعاني والبيان.

ومن اعلام النقد والبلاغة من لا يمكننا تجاهله كأبي هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين، وابن سنان الخفاجي صاحب سرّ الفصاحة، وغيرهم من العلماء الذين كان لهم اثرهم المشهود.

ومن الجدير بالذكر ان تحديد العلماء ضمن طائفة من دون الاخرى هو امر توضيحي فقط والا فلماؤنا القدماء كانوا من ذوي الثقافة الشاملة وان غلب ليهم جانب من دون آخر.

(واجب بيتي: صحيفة بشر بن المعتمر مطلوب الإطلاع عليها، وتحديد المباديء البلاغيّة التي أكّدت عليها).

مصادر المحاضرة:

- علم المعاني: د. قصي سالم علوان
- فنون التصوير البياني: د. توفيق الفيل.

****

- مقدّمة عن علم البيان:

ترتبط البلاغة العربية في الاذهان عند ذكرها بعلومها الثلاثة المعروفة لنا اليوم، وهي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وقد يتبادر الى الذهن ان هذه العلوم الثلاث قد نشأ كل واحد منها مستقلا عن الآخر بمباحثه ونظريّاته، ولكن الواقع غير ذلك.

البيان لغة: الكشف والظهور والايضاح، يُقال: فلان أبين من فلان أي أوضح منه كلاماً.

البيان اصطلاحاً: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، مع وضوح الدلالة عليه.

ومعنى هذا التعريف أنّ الضليع من هذا الفنّ إذا حاول التعبير عمّا يختلج في صدره من المعاني وجد السبيل ممهداً، فيختار ما هو أليق بمقصده وأشبه بمطلبه من فنون القول وأساليب الكلام.

– **موضوع هذا العلم:** اللفظ العربي من حيث التفاوت في وضوح الدلالة بعد رعايته مطابقة مقتضى الحال.

– **فائدته:** مباحث البيان محصورة في المجاز على انحائه، أي بمعنى اعم هو يشمل الكناية، وان التشبيه انما ذكر فيه لبناء الاستعارة عليه.

– **واضعه:** أول من دوّن مسائل من هذا العلم أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن)، وتبعه الجاحظ، وابن المعتز، وقدامة بن جعفر، وابو هلال العسكري، وما زال يشدو شيئاً فشيئاً حتى جاء عبد القاهر الجرجاني فأحكم أساسه وشيّد بناءه.

– **في الحقيقة والمجاز:**

الدلالة : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر، والشيء الاول هو الدالّ، والثاني هو المدلول. وهي اما لفظيّة أو غير لفظيّة، والثانية لا علاقة لها بمباحث هذا الفنّ، والاولى أقسام ثلاثة:

– دلالة اللفظ على تمام مسماه وتسمى دلالة المطابقة كدلالة الانسان والاسد على حقيقتهما.

– دلالة اللفظ على بعض مسمّاه، وتسمّى دلالة التضمّن كدلالة بيت على السقف والحائط.

– دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالة الانسان على كونه متحركا او شاغلا لجهة او نحو ذلك، وشرطه اللزوم الذهني (سواء أصاحبه لزوم خارجي أم لا)، بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصوله فيه أما على الفور أو بعد التأمل في القراءات والامارات، لكن لا يشترط أن يكون اللزوم ممّا يثبته للعقل، بل يكفي أن يكون العرف عاما أو خاصا كاصطلاحات أرباب الصناعات والاصطلاحات الشرعية واللغوية.

والدلالة الاولى تسمى عند البيانيين وضعية ويستحيل تفاوتها وضوحا وخفاء؛ لان السامع لشيء من الالفاظ الموضوعة أما أن يكون عالما بالوضع المسمى اولا، فان كان الاول فانه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصان، وان كان الثاني فانه لا يعرف منه شيئا اصلا.

والثانية والثالثة تسميتان عقليتان، لان دلالة اللفظ على الجزء واللازم مصدرها العقل الحاكم بأن حصول الكل مستلزم حصول الجزء ووجود الملزوم مستلزم وجود اللازم، ويتأتى فيهما الاختلاف وضوحاً وخفاء، إذ هنالك لوازم كثيرة بعضها قريب اللزوم يسبق الى الذهن فهمه بسرعة وبعضها بعيد فيصح اختلاف الطرق فيها، ويكون بعضها أكمل من بعض في الافادة.

وينقسم علم البيان اعتماداً على تقسيمات مبحث الدلالة.

والقدماء تحدّثوا عن أنواع متعدّدة من الدلالات، منها: دلالة الاشارة، والالتزام، والتضمّن، والخطّ، والعقد، والدلالة العقليّة، والدلالة الوضعيّة، والمطابقة، والنصبة.

- في الحقيقة والمجاز:

للعلماء في الحقيقة والمجاز آراء متباينة، فمنهم من ذهب الى أنّ الكلام كلّه حقيقة، ومنهم من ذهب الى ان اللغة كلها مجاز، ومنهم من يرى ان اللغة تشتمل على الحقيقة والمجاز، ولا نريد ان نبحث في الاسباب التي دعت الى الجدال الطويل الذي دار بين العلماء حول هذه القضية، لان بعض أسباب هذا الجدال مردها الى قضايا كلاميّة، لكننا من المستحيل أن نقول ان هنالك مجازا في الكلام من دون أن نعرف له حقيقة يرجع اليها.

فالقول اذن بخلو اللغة من المجاز، وتفسير الامور على ظاهرها، يفسد المعنى، ويقف بمن يعتمده عن الوصول الى البلاغة، سواء كانت البلاغة في القرآن أم في الشعر، أم في غيرهما من القول الجيد.

ونحن سنتابع ما ذهب اليه جمهور البلاغيين واللغويين من القول بوجود الحقيقة والمجاز في اللغة.

والحقيقة جاء اشتقاقها من حقّق الشيء إذا أثبته، وهي تعني اصطلاحاً: دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة.

وهي على أقسام:

١- **الحقيقة اللغويّة**، وهي ما تدل عليه الالفاظ بحسب الوضع اللغويّ، وعند استعمالها في هذه المعاني التي وضعت لها تكون حقائق عليها، ونقول حينئذ إن اللفظ مستعمل في معناه الموضوع له في اللغة، مثل: القلم والكتاب والقمر والشمس، فإن استعملت على أصلها فهي حقيقة، وإن استعملت على غير أصلها فهي مجاز.

٢- **الحقيقة العرفية**، وهي التي نقلت من مسمّاها اللغوي الى غيره بعرف الاستعمال، وقد يكون عاماً أو خاصّاً.

أ- **العرفيّة العامّة**، وتعني ان اللفظ موضوع لمعنى له في اللغة، لكن عرف الاستعمال ينقله من هذا المعنى الى معنى آخر، ثم تنسى الحقيقة ويشتهر المعنى العرفي، ويطلق عليها العلماء: الحقيقة العرفية العامّة، اذا استعملته البيئة اللغوية بمعناه الجديد، مثل: حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عندما يكون استعمال الحقيقة مستنكرا، مثل (حرّمت الخمر) فالأصل فيها: حرّم شرب الخمر، أو قصر الاسم على بعض مسميّاته نحو لفظة الدابّة التي كانت تدلّ على كلّ ما يدبّ على الارض من حشرات أو حيوانات أو بشر، ولكن النص القرآنيّ حدّدها بذوات الاربع من البهائم المحلّلة للأكل، ومنه لفظة (الجنّ) التي تدلّ على كلّ شي مستتر، فحدّدها النص القرآني بنوع خاصّ من المخلوقات.

ب- **الحقيقة العرفية الخاصّة**، وهي التي وضعها أهل عرف خاصّ، وجرت على ألسنة العلماء من الاصطلاحات التي تخصّ كلّ علم، وفي هذا النوع لا يشيع اللفظ في الاستعمال العام وانما في المعنى

الخاصّ، اي في الاصطلاحات العلمية الخاصة ببيئة علمية خاصة، من امثلة مصطلحات النحو، من الرفع والنصب والجرّ، وما يجريه أهل الحرف والصناعات والعلوم فيما يفهمونه بينهم.

٣- **الحقيقة الشرعية**، وهي الحقيقة المستفادة من جهة الشرع، فيستعملها اهل الشرع في معان غير معناها اللغوي، وشاع هذا الاستعمال حتى اصبح اول ما يتبادر الى الذهن عند اطلاقه، معناه في الشرع لا معناه اللغوي، مثل لفظة (الصلاة) التي تعني عندما نسمعها يتبادر الى فهمنا تلك الافعال المخصوصة وليس معناها اللغوي الذي يدل على الدعاء.

والحقيقة الشرعية منها الفاظ لا تفيد المدح ولا الذم مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج، ومنها الفاظ تفيد المدح مثل مؤمن ومسلم، او تفيد الذم كقولنا كافر وفاسق، وغير ذلك مما يشبهه.

ومن جميع هذه الحقائق فانها جميعا لها اصلها اللغويّ، وبعض هذه الحقائق لا يبعد عن اصلها اللغوي.

- **المجاز**:

اشتقاقه مأخوذ من الجواز الذي هو التعدي في قولهم: جزت موضع كذا، اذا تعديته. او من الجواز الذي هو قسيم الوجوب والامتناع، ولكن الاقرب الى مفهوم المجاز الاصطلاحي هو المعنى الاول، ومعناه الاصطلاحي هو: الانتقال بدلالة اللفظ من معنى إلى معنى آخر.

وانواع ما يندرج ضمن مفهوم المجاز يمكن تفسيرها بالشكل الاتي: فاللفظ اذا استعمل في معناه الموضوع له فحقيقة، وان استعمل في غيره لعلاقة مع قرينة فاما مانعة من ارادة المعنى الاصلي فمجاز، واما غير مانعة فكناية.

والمجاز اذا كان لعلاقة المشابهة فاستعارة مفردا كان او مركبا، وان كان لعلاقة غير المشابهة فاذا كان مفردا سمي مجازا مرسلا، وان كان مركبا قيل له مجاز مركب.

وان ابواب هذا الفنّ اربعة:

التشبيه، المجاز بقسميه، الكناية، اما الحقيقة فنحن نذكرها ليتضح مقابلها وهو المجاز اشدّ الوضوح، وايضا هو اصل المجاز فناسب ذكرها في هذا الفنّ.

- **مصادر المحاضرة:**

- فنون التصوير البياني: د. توفيق الفيل.
- علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع: أحمد مصطفى المراغي.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب.

****

- **الفنّ الأوّل: المجاز اللغويّ:**

المجاز يكون في المفرد والمركّب، والمفرد يتحقّق فيه المجاز عن طريق التجاوز باللفظ معناه الذي وضع له في اللغة. فالتعبير بلفظ (الأسد) عن الرجل الشجاع تجاوز بلفظ الأسد معناه الذي وضع له وهو الحيوان المعروف، والتعبير بالظبي، والمهاة عن المرأة التي تتصف بجمال العين تجاوز باللفظ معناه الذي وضع له وهو الحيوان المعروف. وإطلاق اليد على (النعمة) تجاوز باللفظ معناه، وهكذا كلّ لفظ نقل من معناه إلى معنى آخر، لكن هذا النقل والقول بالتجوّز في استعمال اللفظ مشروط بشرطين:

- الشرط الاول: أن يكون بين المعنى المنقول منه، والمعنى المنقول إليه علاقة.
- الشرط الثاني: أن توجد قرينة تمنع من أن يكون المراد باللفظ معناه الأساسيّ.

والقرينة التي تمنع من أن يكون اللفظ مستعملاً في معناه، تكون واحداً من أمرين:

- **الاول:** شيء موجود في الكلام يشير الى هذا المنع، ويحول بين الذهن والتفكير بالمعنى الاساسي، ويمكننا أن نمثل لمثل هذا النوع من القرينة التي اصطلح على تسميتها (قرينة لفظيّة) بقول ابن العميد متحدثاً عن خوف محبوبته عليه، ومحاولتها دفع الضرر عنه:

قامت تضللني من الشمس نفسٌ أعزّ عليّ من نفسي

قامت تضللني ومن عجبٍ شمسٌ تضللني من الشمس

فلفظة (تضللني) هي القرينة التي تمنع من أن يكون المراد بلفظ (الشمس) معناه الذي وضع له في اللغة، اذ الشمس الحقيقية يتظلل الانسان منها، ولا تظلل.

- **والثاني:** أن يدل الحال على أنّ المراد باللفظ غير معناه، وذلك على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿وإنّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً﴾.

فكلّ عاقل يدرك أنّ الأصابع لا يمكن أن تجعل في الآذان، وانّما الذي يوضع في الاذن هو جزء منها، ويسمي البلاغيون هذا النوع من القرينة (القرينة الحاليّة).

- **أنواع المجاز اللغويّ:**

يقسّم البلاغيون المجاز في لالفاظ، أو المجاز الذي يكون مردّ الحكم فيه الى اللغة الى قسمين، وذلك بالنظر الى العلاقة.

- **القسم الاول: ما تكون العلاقة فيه المشابهة:**

مثل قول ابن العميد السابق، إو اطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع، أو اطلاق النور على العلم والهدى والايمان، واطلاق الظلمة على الجهل والكفر والضلال، وقد اصطلحوا على أن مثل ذلك النوع من المجاز يسمى (استعارة)، فأساسها الذي تقوم عليه هو التشبيه.

- والقسم الثاني: ما تكون العلاقة فيه غير المشابهة:

وهنا يكون هذا النوع قائما على علاقات متعدّدة، ويسمى هذا النوع من المجاز بالمجاز المرسل، أمّا علاقاته فهي:

- أولا: علاقة السببية:

وتوجد عندما يطلق المتكلّم السبب، وهو يريد المسبّب، كقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجـهلن أحــد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والجهل الذي يتحدّث عنه الشاعر هو السفه والطيش، وليس المقصود به ضدّ العلم، وكان عمرو بن كلثوم يتحدّث عن قوّة عزمه، ويفتخر بها وهو يريد ببيته أن ي قول بأن من تحدّثه نفسه بالعدوان علينا، أو النيل منّا سوف يجابه بالشدّة، وسوف يلقى العقاب الرادع منّا. وقد عبّر عن العدوان عليهم بالجهل وكأنّه يريد أن يقول لنا أنّه لا يجرؤ على مثل هذا العدوان إلا من فقد رشده، وغاب عنه صوابه. وإذا كان هذا بالأمر يعدّ من الجهل، فكيف يكون الردّ عليه جهلاً لأنّ الجهل كان سبباً فيه، والفائدة من التعبير بالمجاز، واختياره على الحقيقة لأنّه يفيدها مع زيادة هي أنّ الردّ سيكون قويّاً رادعاً، فيه البطش بالمعتدي والهلاك له.

- ثانياً: ما تكون العلاقة فيه المسببيّة:

وفيها يذكر المسبّب، ويكون المقصود هو السبب على نحو ما نجد في قوله تعالى: ﴿ هو الذي يريكم آياته وينزّل لكم من السماء رزقاً وما يتذكّر إلا من ينيب﴾.

والرزق هو المطر، وذكر سبحانه الرزق لأنّه مسبّب عن المطر، والمطر سببه، والنكتة في المجاز هي تذكير هؤلاء المشركين الذين غفلوا عن آيات الله ونعمه، فكفروا به، وأشركوا به سواه ولم ينظروا إلى آياته الكبرى من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق، والرزق الذي يحيون به، وهو من عند الله إن شاء

حبسه، وإن شاء أرسله، ولكنّهم لا يتعظون بشيء ولا يتذكرون نعمه، لأنّهم لا يتوبون ولا يرجعون عن شركهم، ولا يكون التذكير الا للتائبين الاوابين.

- ثالثاً: علاقة الكليّة:

وتحدث هذه العلاقة حين يطلق الكلّ ويراد به جزء منه، وذلك كقوله تعالى في قصة نوح (ع) مع قومه، وإصرارهم على الكفر، وعدم استجابتهم لدعوة الحقّ، مع ما فيها من خير لهم في دنياهم وأخرتهم، وما فيها من صلاح معاشهم ومعادهم؛ ولهذا يئس من إيمانهم فقال تعالى على لسانه: ﴿ قال رب إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً۞ فلم يزدهم دعائي إلا فراراً۞ وإنّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً ﴾.

فالآيات الكريمة تصوّر مدى العناد، والتمسّك بالكفر، وعدم تقبّل شيء ممّا جاء به الرسول، أو رؤيته أو سماعه، وقد نوّع الرسول في أسلوب الدعوة، فدعاهم في السرّ والعلن، وفي وقتها، فدعاهم بالليل والنهار لعلّ ذلك يجعل الدعوة تصادف في نفوسهم موقعاً، ومن قلوبهم استجابة، لكنّ شيئاً من ذلك لم يكن. وقد وظفت الآيات المجاز المرسل لأداء المعنى المراد منها، فعبّر عن الانامل بالأصابع، إذ من المستحيل أن توضع الاصابع كلّها في الاذن، وانّما الانسان اذا اراد ان يغلق أذنه وضع أنامله فيها، ولهذا نقول عبّر بالكلّ وأراد الجزء.

- رابعاً: علاقة الجزئيّة:

وهي عكس العلاقة السابقة، وفيها يذكر الجزء والمراد الكلّ، ومن الضروري أن يكون الجزء الذي يطلق على الكل له مزيد اختصاص بالمعنى الذي يعبّر عنه لا يتحقّق لجزء آخر غيره، ويكثر استعمال المجاز المرسل الذي يطلق فيه الجزء على الكلّ، أو ما تكون العلاقة فيه الجزئيّة في الكلام، وذلك كقوله تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ﴾.

فقد جاء التعبير بالرقبة عن الانسان المستعبد ومن المعروف أنّ الرقبة هي موضع القيد في الحيوان أو بتعبير آخر موضع القلادة. والرقبة أظهر ما تكون وأخصّ بالتعبير عن الحريّة من اليد أو العين أو الاذن مثلا، فالرقبة تحمل الرأس وفيه العقل، وعدد من الحواسّ التي يحصّل بها الانسان معارفه، وإذا كان الانسان لا يملك حريّة التصرّف ويسخّر كما تسخّر الدوابّ ألحق بها، ولأن الاذلال والخضوع يكون في الرقبة.

- خامساً: علاقة اعتبار ما كان:

وذلك كأن يعبّر عن أمر من الامور بشيء لا يتفق وحالته المماثلة، ولكن ينظر الى ما كان عليه. وذلك نحو قولنا: أكلنا قمحاً. فنحن في الحقيقة لا نأكل القمح وهو على حالته التي يصدق عليه فيها اطلاق هذا الاسم ، بل نأكله بعد أن يصير خبزاً. والتعبير صحيح لأنّ العلاقة قائمة بين الخبز والقمح فقد كان الخبز قمحاً.

ومن هذا النوع من المجاز، قوله تعالى: ﴿ إنّه من يأت ربّه مجرماً فإنّ له جهنّم لا يموت فيها ولا يحيى﴾، ومن الواضح ان الانسان اذا جاء ربّه ومثل بين يديه للحساب لا يكون مجرماً، لأنّ اعماله تنقطع وتنتهي بموته، ولكن الآية عبّرت بالمجاز بالنظر الى ما كان عليه هذا العبد في دنياه. وبلاغة المجاز في الآية أنّها تجعل ما كان يرتكبه العاصي من جرم في حياته مائلاً كأنّه لم ينقطع، وذلك أخزى له في موقف الحساب، وأكثر إشعاراً له بالجرم وسوء العمل.

- سادساً: علاقة اعتبار ما يكون:

وفيها يسمى الشيء باسم ما يؤول اليه، كقوله تعالى: ﴿ اني أراني أعصر خمراً ﴾، فالخمر لا تعصر، وانما يعصر العنب الذي يتحول الى خمر بعد شروط يذكرها الفقهاء في ذلك، أمّا الحكمة في التعبير بالمجاز بالآية عدا ما يتحقّق من الايجاز أنّها تحدّد ما سوف يقوم به صاحب الرؤيا من عمل. ولو أنّه قال: إنّي أراني أعصر عنباً لم يتحقّق المراد من المعنى وهو أنّه سيكون ساقي الملك، فقد يكون عصير

لغاية أخرى غير الخمر، كما أنّ الخمر قد تكون من شيء آخر غير العنب. ومجيء الآية على هذا النحو من التعبير فيه أداء المعنى كاملاً شاملاً.

- سابعاً: ما تكون العلاقة فيه المحليّة:

وفي هذه الحالة من المجاز يذكر المحلّ، ويكون المراد الحالّ فيه. وذلك كقوله تعالى في سورة يوسف على لسان أكبر أبناء يعقوب (ع)، وهو الذي قطع الموثق على نفسه بالحفاظ على أخيه، والرجوع به ما لم يلمّ به قضاء الله: ﴿ ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إنّ ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنّا للغيب حافظين۞ وسئل القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنّا لصادقون ﴾، فقال : واسأل القرية والعير، وهو يريد أهلهما، أو بعبارة أخرى أطلقوا المحلّ وأرادوا الحالّ فيه، ولا شيء يناسب موقفهم النفسيّ غير التعبير على هذا النحو، وكأنّهم يقولون: اسأل القرية كلّها، نباتها وحيوانها وجمادها، إنسها وجنّها، وسوف تجد صدق ما نقول. ومجيء الكلام بهذا المجاز وعلى هذا السياق يسهم بقدر في بلاغة الكلام، ولو جاء الكلام على الحقيقة، أو نقص شيء منه، أو زاد لما أدّى المعنى طبقاً لما يقتضيه الحال. وممّا يكون من المجاز المرسل الذي علاقته (المحليّة) قوله تعالى: ﴿ فليدع ناديه۞ سندع الزبانية ﴾.

- ثامنا: ما تكون العلاقة فيه الحاليّة:

وفيه يذكر الحال، ويكون المراد هو المحلّ كقوله تعالى: ﴿ إنّ الأبرار لفي نعيم۞ وإنّ الفجّار لفي جحيم ﴾، فالمراد إنّ الابرار لفي محلّ النعيم وهو الجنّة، وانّ الفجّار لفي محلّ الجحيم وهو النار.

- تاسعاً: ما تكون العلاقة فيه المجاورة:

وفيه يذكر اللفظ ويراد به ما يجاوره، وذلك مثل قول الشاعر:

فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه ليس الكريمُ على القنا بمحرّمِ

فليس المراد ضرب الثياب بالرمح، بل يريد الشاعر أن يقول أنّه طعن عدوّه بهذا الرمح ولكنّه أطلق الثياب وأراد الرمح.

- عاشراً: ما تكون العلاقة فيه الآليّة:

وهو الذي تذكر فيه الآلة، ويكون المراد ما يصدر عنها، وذلك كقوله تعالى: ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾، فقد ذكر سبحانه وتعالى اللسان والمراد ما يكون بين الناس من الذكر الحسن.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ﴾، أي أبين لغة ، والذكر الحسن، واللغة آلتهما اللسان.

- حادي عشر: علاقة الخصوص:

وهي أن يطلق الخاصّ ويراد به العامّ وذلك كقوله تعالى: ﴿ وإذ رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنّهم خشب مسنّدة يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾.

فقد عبّرت الآية الكريمة عن الأعداء ((بالعدوّ)) بإطلاق الخاصّ وإرادة العامّ. وبلاغة المجاز في الآية تدلّ عليه من أن هؤلاء الأعداء – عداوتهم كاملة لا تختلف من واحد لآخر، وهم أعدى الأعداء، لأنّهم يظهرون لكم المودّة، ويضمرون في قلوبهم الحقد والكراهية والموجودة عليكم. وهم في حقدهم وكراهيّتهم وموجدتهم متساوون لا تقلّ عداوة أحدهم عن الآخر، وعلى المسلمين أن ينتبهوا لهذا، ولا يغتروا بما يبدي بعض الأعداء من المودّة. فليس ذلك إلا تظاهراً يخفي وراءه حقداً يأكل القلوب. وهم في كل مكان وزمان يدبرون المكايد للمسلمين، ويريدون القضاء عليهم.

- ثاني عشر: علاقة العموم:

وهو أن يطلق العامّ، ويراد به الخاصّ، كقوله تعالى: ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾، فقد أطلقت الآية العامّ وهو (الشعراء) والمراد طائفة منهم كانت تؤذي الرسول الكريم والمسلمين بالقول، تهجوهم وتنال من أعراضهم وتفحش في القول، وتسفّ في الهجاء. ولا يدخل في عموم الآية أولئك الشعراء الذين ناصروا الدعوة، وشدّوا إزر الاسلام بشعرهم، ونافحوا عنه بقصائدهم، فهؤلاء امتدحهم الرسول.

- ثالث عشر: علاقة اللزوميّة:

وفي هذا النوع من المجاز يذكر الملزوم ويكون المراد لازمه، وقد جاء هذا النوع في قوله تعالى: ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلّم بما كانوا يشركون ﴾.

والآية الكريمة تنكر على هؤلاء المشركين شركهم، الذي لا يستندون فيه إلى دليل أو برهان، وقد عبّرت الآية عن الدلالة بالكلام لأنّها لازمة له.

- رابع عشر: علاقة اللزوميّة:

وهي تقابل العلاقة السابقة، ففيها يذكر اللازم ويكون المراد الملزوم، وذلك كقوله تعالى: ﴿ فلولا أنّه كان من المسبحين ۞ للبث في بطنه الى يوم يبعثون ﴾، والمراد في الآية – والله أعلم– لولا أنّه كان من المصلين، وقد جاء التعبير عن الصلاة بالتسبيح لأنّه من لوازمها.

تلك أهم أنواع العلاقات في المجاز المرسل، وتسوق بعض كتب البلاغة علاقات أخرى يمكن الرجوع إليها.

****

- الفنّ الثاني: التشبيه:

التشبيه لغة: التمثيل، وفي اصطلاح البلاغيّين له أكثر من تعريف، وهذه التعاريف وان اختلفت لفظاً فهي قد اتفقت معنى، فابن رشيق مثلا يعرّفه بقوله: ((التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه مناسبة كليّة لكان إيّاه)).

ويعرفه الخطيب القزويني بأنه: ((هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى)).

وفي الجملة فاننا نستطيع الخروج بالتشبيه الى التعريف الآتي: بيان أنّ شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدّرة، تقرّب بين المشبّه والمشبّه به في وجه الشبه.

- أركان التشبيه:

١- المشبّه.

٢- المشبّه به ويسميّان طرفيّ التشبيه.

٣- الأداة، وهي الكاف ونحوها ملفوظة او مقدّرة.

٤- وجه الشبه، وهو الصفة او الصفات التي تجمع بين الطرفين.

- أقسام التشبيه:

- بحسب طرفيّ التشبيه:

١- حسيّان، والمراد بالحسّيّ ما يدرك هو أو مادّته باحدى الحواسّ الخمس الظاهرة، ومعنى هذا انهما قد يكونا من المبصرات، او المسموعات، او المذوقات، او المشمومات، او الملموسات.

أ- فيكونان في المبصرات، وهو مما يدرك بالبصر من الالوان والاشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها، كقوله تعالى: (كأنّهن الياقوت والمرجان) فالجامع البياض والحمرة. وكقول الشاعر:

أنت نجمٌ في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغرباً

فالممدوح شبّه بالنجم في الرفعة والضياء.

ونحو تشبيه الخدّ بالورد في البياض المشرب بحمرة، وتشبيه الوجه الحسن بالشمس والقمر في الضياء والبهاء، والشعر بالليل في السواد.

ب- ويكونان في المسموعات، اي مما يدرك بالسمع من الاصوات الضعيفة والقويّة والتي بين بين، نحو تشبيهك صوت بعض الاشياء بصوت غيره، كتشبيه صوت المرأة الجميل بصوت البلبل، وصوت الغاضب الهائج بنباح الكلب، مثال ذلك قول امريء القيس:

يغطُّ غطيط البكر شدّ خناقه ليقتلني والمرءُ ليس بقتّالِ

فالشاعر يصوّر غضب رجل أظهرت امرأته ميلاً نحو الشاعر، فيشبّه صوت هذا الزوج المغيظ المحنق بغطيط البكر وهو الفتيّ من الابل الذي يُشدّ حبل في خناقه لترويضه وتذليله.

جـ- ويكونان في المذوقات، اي ممّا يدرك بالذوق من المطعوم، كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكّر، والريق بالشهد أو الخمر، مثال ذلك قول الشاعر:

كأنّ المدام وصوب الغمام وريح الخزامى وذوب العسل

يـعَـل بـه بـرد أنـيابـها إذا النجم وسط السماء اعتدل

د- ويكونان في المشمومات، اي مما يدرك بحاسّة الشمّ من الروائح، نحو تشبيه بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك، وتشبيه انفاس الطفل بعطر الزهر.

هـ- يوكونان في الملموسات، اي في كلّ ما يدرك باللمس من الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، والخشونة والملاسة، واللين والصلابة، والخفّة والثقل وما يتصل بها، مثال ذلك قول الشاعر:

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

٢ - أو عقليّان، والمراد انهما لا يدركان بالحسّ بل بالعقل، وذلك كتشبيه العلم بالحياة، والجهل بالموت، فقد شبّه معقول بمعقول اي ان كلاً منهما لا يدرك الا بالعقل.

٣- او مختلفان، وذلك بأن يكون احدهما عقليا والآخر حسيّاً، كتشبيه المنيّة بالسبع، والمعقول هو المشبّه، والمحسوس هو المشبّه به وهو الخلق العلميّ.

والتشبيه الحسّي الذي يدرك هو او مادّته باحدى الحواسّ الخمس يدخل فيه او يلحق به التشبيه (الخيالي)، والتشبيه الخيالي هو المركب من امور كل واحد منها موجود يدرك بالحسّ، لكن هيئته التركيبيّة ليس لها وجود حقيقي في عالم الواقع وانما لها وجود متخيّل او خياليّ.

ولكن لأن اجزاء التشبيه الخيالي موجودة بالحسّ الحق بالتشبيه الحسي لاشتراك الحسّ والخيال في ان المدرك بهما صورة لا معنى، وذلك كقول الشاعر:

وكأنّ محمّر الشقيـ ق اذا تصوّب او تصعّد

اعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

فالهيئة التركيبية التي قصد التشبيه بها، وهي نشر اعلام مخلوقة من الياقوت على رماح مخلوقة من الزبرجد لم تشاهد قط لعدم وجودها في عالم الحسّ والواقع، ولكن العناصر التي تألفت منها هذه الصورة المتخيّلة من الاعلام والياقوت والرماح والزبرجد موجودة في عالم الواقع وتدرك بالحسّ.

ويدخل البلاغيون في التشبيه العقليّ ما يسمونه بالتشبيه الوهميّ، وهو ما ليس مدركاً باحدى الحواس الخمس الظاهرة، ولكنّه لو وجد فادرك لكان مدركا بها، كما في قوله تعالى: ﴿ طلعها كأنّه رؤوس الشياطين ﴾، وكقول امريء القيس:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ

فالشياطين والغول وانيابها مما لا يدرك باحدى الحواسّ الخمس الظاهرة، ولكنّها لو وجدت فادركت لكان إدراكها عن طريق حاسّة البصر.

ويدخل في العقليّ ايضا ما يدرك بالوجدان، كاللذّة والالم، والشبع والجوع، والفرح والغضب، وما يدرك بالوجدان اي بالقوى الباطنيّة مثل القوة التي يدرك بها الجوع، والشبع، والغضب، والفرح، والخوف، وغير ذلك من الغرائز.

- اقسام التشبيه بحسب الاداة:

أداة التشبيه: كل لفظ يدلّ على المماثلة والاشتراك، وهي حرفان واسماء وافعال، وكلها تفيد قرب المشبّه من المشبّه به في صفته، والحرفان هما:

١- **الكاف،** وهي الاصل لبساطتها، والاصل فيها ان يليها المشبّه به المفرد، كقول الشاعر:

أنا كالماء – ان رضيتُ– صفاء واذا ما سخطت كنت لهيباً

وقول الشاعر:

أنت كالليث في الشجاعة والاقدام والسيف في قراع الخطوبِ

وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به، وذلك اذا كان المشبّه به مركّباً، كقوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ اذ ليس المراد

تشبيه حال الدنيا بالماء، ولا بمفرد آخر يمكن تقديره مكانه، بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيّره الرياح كأن لم يكن، نحو قول لبيد:

وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلّوها وبعدُ بلاقعُ

فالشاعر لم يشبّه الناس بالديار وانما شبّه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم بحلول اهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركوها خالية.

٢- **كأن:** وتدخل على المشبّه او يليها المشبّه، كقول الشاعر:

كأنّ اخلاقك في لطفها ورقة فيها نسيم الصباح

وقول الآخر:

وكأنّ الشمس المنيرة دينا رٌ جلته حدائد الضرّابِ

و(كأنّ) حرف مركّب عند أكثر علماء اللغة من الكاف وإن، قالوا والاصل في (كأنّ زيداً أسداً) : إنّ زيداً كأسد، ثمّ قدّم حرف التشبيه اهتماماً به، ففتحت همزة (إن) لدخول الجارّ، وما بعد الكاف جرّ بها.

٣- **مثل:** وهي من ادوات التشبيه، وما في معنى مثل كلفظة (نحو)، وما يشتق من لفظة (مثل) و(شبه)، نحو مماثل ومشابه وما رادفهما، واما ادوات التشبيه الفعليّة فنحو: يشبه ويشابه ويماثل ويضارع ويحاكي ويضاهي.

واذا قرب التشبيه يستعمل له (علم)، نحو: علمتُ زيداً أسداً، هذا اذا قرب التشبيه بمعنى ان يكون وجه الشبه قريب الادراك، فيحقق بأدنى التفات اليه، وذلك لان العلم معناه التحقق. اما اذا بعد التشبيه ادنى تبعيد قيل: خلته وحسبته ونحوهما لبعد الوجه عن التحقّق، وخفائه عن الادراك.

- وينقسم التشبيه باعتبار الأداة:

١- **التشبيه المرسل:** وهو ما ذكرت فيه الاداة، نحو:

العمرُ مثل الضيف أو كالطيف ليس له اقامة

٢- **التشبيه المؤكد:** وهو ما حذفت منه اداة التشبيه، وتأكيد التشبيه حاصل من ادعاء ان المشبه هو عين المشبّه به، نحو قوله تعالى: ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة، وهي تمرّ مرّ السحاب ﴾، اي ان الجبال ترى يوم ينفخ في الصور تمرّ كمر السحاب، اي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح.

والتشبيه المؤكد ابلغ من التشبيه المرسل واوجز، اما كونه ابلغ فلجعل المشبّه مشبّها به من غير واسطة اداة فيكون هو ايّاه، فانك اذا قلت: زيد اسد كنت قد جعلته اسدا من غير اظهار اداة التشبيه، واما كونه اوجز فلحذف اداة التشبيه منه.

- اقسام التشبيه اعتمادا على وجه الشبه:

وجه الشبه: هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه تحقيقا او تخييلاً، والمراد بالتحقيق هنا أن يتقرّر المعنى المشترك في كل من الطرفين على وجه التحقيق، وذلك نحو تشبيه الرجل بالاسد، فالشجاعة هي المعنى المشترك او الصفة الجامعة بينهما، وهي على حقيقتها موجودة في الانسان، وانما يقع الفرق بينه وبين الاسد الذي شبّه به من جهة قوة الشجاعة وضعفها وزيادتها ونقصانها.

والمراد بالتخييل ان لا يمكن وجوده في المشبّه به الا على سبيل التأويل والتخييل، كقول الشاعر:

وكأنّ النجوم بين دجاها سننٌ لاح بينهنّ ابتداعُ

وجه الشبه في هذا التشبيه او الجامع بين الطرفين هو الهيئة الحاصلة من حصول اشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، فهذه الهيئة غير موجودة في الشبه به الا عن طريق التخييل، وذلك انه لما

كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة فلا يهتدي الى الطريق ولا يفصل الشيء من غيره– شبهت بالظلمة، ولزم على عكس ذلك ان تشبّه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور.

ومن التشبيه التخييلي قول الشاعر:

وأرضٍ كأخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا

فان الاخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيها لها بالاماكن الواسعة والضيقة، تخيّل اخلاق الكرام شيئا له سعة، وجعله اصلا فيها، فشبّه الارض بالسعة.

– وجه الشبه من حيث الافراد والتركيب:

١– التشبيه المفرد، أو الصورة البسيطة للتشبيه:

قد يرد التشبيه في صورة بسيطة بحيث يكون الوصف المشترك بين المشبّه والمشبّه به مأخوذاً من شيء واحد، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وله الجوار في البحر كالاعلام ﴾، فالصفة المشتركة بين السفن والجبال هي العظم، وقد تحقّقت في المشبّه به وهو الأعلام.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾، فالصفة المشتركة وهي النحول والانحناء تتحقّق من خلال المشبّه به وهو العرجون القديم، وقد أفاد ابن الرومي من هذا التشبيه فقال في ذمّ الدهر:

تأتي على القمر الساري نوائبه حتى يُرى ناحلاً في شخص عرجونِ

ويتنوّع الغرض الذي يأتي مثل هذا التشبيه لبيانه، فقد يساق لغرض بيان الصورة كما في الآية السابقة، وقول امريء القيس:

كأنّ عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذي لم يثقبِ

وقد يأتي التشبيه لبيان اللون والحسّ، كقوله تعالى: ﴿ كأنّهنّ الياقوت والمرجان ﴾، وقوله تعالى: ﴿كأنّهن بيض مكنون﴾.

٢- تعدّد صور التشبيه:

لاحظ البلاغيون ان طرفا من اطراف التشبيه قد يأتي متعدّداً، ويبقى الآخر على افراده، وقد جاء المشبّه متعدّداً، والمشبّه به مفرداً في قول الشاعر البحتريّ:

شعر الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره فـي صـفاء وأدمعي كاللآلي

فالمشبّه في البيت الاول: حال الشاعر، وشعر حبيبته، والمشبّه به: الليالي، والجامع بينهما: السواد.

والمشبّه في البيت الثاني: دموع الشاعر وثغر حبيبته، والمشبّه به اللآلي، والجامع بينهما: البياض.

والتشبيه في البيتين لبيان ما تتصف به الحبيبة من جمال يتمثّل في سواد الشعر وبياض الثغر، ويضاف الى هذا الجمال الحسّي الذي بيّنه الشاعر من خلال التشبيه جمال من نوع آخر وهو التمنّع والإباء الذي سبّب للشاعر الحزن والالم وجعل دموعه تنساب، وحظه سيئاً.

وقد حاول الشاعر من خلال صورة التشبيه أن يظهر نوعا من التناقض يتمثّل في السواد من جهة، والبياض من جهة أخرى. وفي مثل هذا التشبيه يظهر الايجاز والتركيز من خلال إفراد المشبه به.

وكما يتعدد المشبّه، يتعدّد المشبّه به، ويأتي المشبّه مفرداً، وذلك على نحو ما نرى في قول الشاعر يصف مصلوباً:

كأنّه عاشق قد مدّ صفحته يوم الوداع الى توديع مرتجلِ

أو قائم من نعاس فيه لوثتُهُ مواصلٌ لتمطيّة من الكسلِ

فقد شبّه الشاعر المصلوب بشيئين: الاول العاشق الذي يمدّ ذراعيه لتوديع معشوقه في لحظة الوداع، ومن قام من نعاسه، وأخذ يتمطّى بسبب ما هو عليه من الكسل، والتشبيه كما نرى يقع على الصورة وحدها، وان كان تعدّد المشبّه به يعطي لهذه الصورة التنويع.

– ملاحظة: التشبيه البليغ اذا وجد طرفا التشبيه وحذفت منه الاداة ووجه الشبه، واذا حذف وجه الشبه وذكرت فيه الاداة فهو مجمل ومرسل، واذا حذفت الاداة وبقي وجه الشبه فهو مؤكد مفصّل، وان وجد الجميع فهو ضعيف، يقال انه مرسل ومفصل.

(ملاحظة: موضوعات: التشبيه باعتبار وجه الشبه، والتشبيه المقلوب والتشبيه الضمنيّ واغراض التشبيه يتمّ مراجعتها في كتاب: علم البيان: د. عبد العزيز عتيق: ص٨٦– ١١٤).

الأمثلة التطبيقيّة المطلوبة في مادة المجاز المرسل:

١- قال تعالى: (هو الذي يريكم آياته وينزّل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب).مسببية

٢- قال تعالى: (يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت). كلية

٣- قال تعالى: (فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا تحزن) جزئية

٤- (إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) اعتبار ما كان

٥- (ودخل السجن معه فتيان قال أحدهما إنّي أراني أعصر خمراً)اعتبار ما يكون

٦- (وسئل القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها)(المحليّة

٧- (إنّ الأبرار لفي نعيم. وإنّ الفجّار لفي جحيم)(الحاليّة).

٨- قال الشاعر: فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّم(المجاورة)

٩- (يحسبون كلّ صيحة عليهم هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون)(الخصوصية)

١٠- (والشعراء يتبعهم الغاوون)(العامية)

١١- (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلّم بما كانوا به يشركون)(الملزومية)

١٢- (فلولا أنّه كان من المسبّحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)(اللازمية).

١٣- قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه). آلية

١٤- قال تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه).سببية

- الأمثلة التطبيقيّة المطلوبة في مادة التشبيه:

١- قال تعالى: (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم).

٢- قال تعالى: (وله الجوارِ المنشآت في البحر كالاعلام).

٣- قال الشاعر: كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالي

٤- قال الشاعر: كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

٥- قال الشاعر: بدت قمرا ومالت خوط بانِ وفاحت عنبرا ورنت غزالا

٦- قال الشاعر: كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

٧-

الاستعارة:

١- فلم أرَ مثلي من مشى البحر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد

٢- وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

٣- قال تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات)

٤- قال تعالى: انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية/ تبعية

٥- قال تعالى: (واشتعل الرأس شيبا)

٦- والناس صنفان: موتى في حياتهم وآخرون ببطن الارض احياء

٧- قال تعالى: اهدنا الصراط المستقيم

٨- قال تعالى: او يأتيهم عذاب يوم عظيم

٨- وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

٩- فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

١٠- انك لانت الحليم الرشيد

١١- اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة

١٢- وجعلت كوري فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل

١٣- قال تعالى: ولما سكت عن موسى الغضب

١٤- اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم

١٥- ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرا به الماء الزلالا

- الكناية:

١- بعيدةُ مهوى القرط إمّا لنوفلٍ أبوها وإمّا عبد شمسٍ وهاشمِ

٢- ويضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضّلِ

٣- (أو جاء أحد منكم من الغائط).

٤- طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا/ صفة

٥-- (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)/ عن صفة

٦- وما يك فيّ من عيب فإنّي جبانُ الكلب مهزول الفصيل/ صفة

٧- (ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمشِ في الارض مرحاً إنّ الله لا يحبّ كلّ مختال فخور) صفة

٨- (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) موصوف

٩- ولمّا شربناها ودبّ دبيبها الى موطن الأسرارِ قلت لها قفي/ موصوف

١٠- فمسّاهم وبسطهم حرير وصبّحهم وبسطهم تراب/ موصوف

١١- ومن في كفّه منهم قناة كمن في كفّه منهم خضابُ

١٢- بنى المجد بيتاً فاستقرّت عماده علينا فأعيى الناس أن يتحوّلا

١٣- لا امتع العوذ بالفصال ولا ابتاع الا قريبة الأجلِ

١٤- تحلّ بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلّتِ/ نسبة

١٥- إنّ السماحة والمروءة والندى في قبّة ضربت على ابن الحشرج

١٦- فما جازه جود ولا حلّ دونه ولكن يصير الجود حيث يصير